

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَبِيَدِهِ الرَّفْعُ وَالْخَفْضُ، وَالْإِبْرَامُ وَالنَّقْضُ، سُبْحَانَهُ سُبْحَانَهُ، أَمْرُهُ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ، ﴿إِذَا فَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١). وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قُدْرَتُهُ مُطْلَقَةٌ، وَمَشِيئَتُهُ مُحَقَّقَةٌ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيُّهُ مِنْ خَلْفِهِ وَخَلِيلُهُ، أَوْثَقُ النَّاسِ بِرَبِّهِ اتِّصَالًا، وَأَكْثَرُهُمْ لِلَّهِ تَبَتُّلًا وَابْتِهَالًا، وَعَلَى الصَّحْبِ وَالْأَلِ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْمَالِ.

أَمَّا بَعْدُ - فَيَا عِبَادَ اللَّهِ -، مَنْ شَاءَ النَّجَاةَ وَطَيْبَ الْحَيَاةِ؛ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ مَوْلَاهُ، فَمَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢)، ثُمَّ اَعْلَمُوا - رَحِمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ - أَنَّ إِرَادَةَ اللَّهِ مَاضِيَةٌ، وَمَشِيئَتُهُ فِي الْخَلْقِ جَارِيَةٌ، وَمَا نَرَاهُ فِي الْكَوْنِ مِنْ نَوَامِيسٍ وَسُنَنِ هُوَ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ، تَجْرِي بِأَمْرِهِ وَتَسْرِي بِقُدْرَتِهِ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ حَرْقَهَا وَتَغْيِيرَهَا فَلَا رَادَّ لِأَمْرِهِ وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٣).

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ:

إِنَّ مَا نَرَاهُ فِي الْكَوْنِ مِنْ تَنَاسُقٍ وَتَنَاقُحٍ يَجْعَلُنَا نَلْهَجُ بِذِكْرِ اللَّهِ وَجَمَالِهِ، وَقُدْرَتِهِ وَكَمَالِهِ، فَالْإِنْسَانُ مَخْلُوقٌ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، وَالْكَوْنُ مِنْ حَوْلِهِ لَهُ نِظَامٌ حَكِيمٌ، اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ يَتَعَاقَبَانِ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ، ﴿وَأَيُّهُ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسَلَخَ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ، وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ، لَا الشَّمْسُ

(١) سورة آل عمران / ٤٧ .

(٢) سورة الزمر / ٦١ .

(٣) سورة يس / ٨٢-٨٣ .



يُنَبِّئُ لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آتِلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿١﴾، فَجَلَّ جَلَالُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ.
أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ هَذَا الْكَوْنَ الْمُنِيعَ، وَمَا فِيهِ مِنْ نِظَامٍ بَدِيعٍ؛ لَيْسَ ضَرْبًا مِنْ ضُرُوبِ الْمُفَاجَاتِ وَالصَّدَفِ؛ بَلْ هُوَ تَقْدِيرٌ وَتَدْبِيرٌ مِنْ لَدُنْ لَطِيفِ حَبِيرٍ؛ إِذْ جَعَلَ سُبْحَانَهُ لِهَذَا الْكَوْنَ قَوَانِينَ وَنَوَامِيسَ، تَحْكُمُ حَرَكَتَهُ وَتُنَظِّمُ مَسِيرَتَهُ، وَقَدْ تَنَحَّلُ عُرَى هَذَا النِّظَامِ، وَتَتَعَطَّلُ تِلْكَ النِّوَامِيسُ وَالسُّنَنُ؛ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ لَهَا ذَلِكَ، فَقُدْرَتُهُ مُطْلَقَةٌ لَا تُقَيِّدُهَا السُّنَنُ، وَلَا تَحْكُمُهَا الْقَوَانِينُ، وَمَا الظَّوَاهِرُ الْخَارِقَةُ لِنَوَامِيسِ الْكَوْنَ وَقَوَانِينِهِ الْمَعْرُوفَةِ - كَالْخُسُوفِ وَالْكَسُوفِ وَالزَّلَازِلِ وَالنَّبْرَاكِينِ وَالشُّهُبِ وَالنِّيَازِكِ وَغَيْرِهَا مِنَ الظَّوَاهِرِ الْعَجِيبَةِ - إِلَّا دَلِيلٌ عَلَى مُطْلَقِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَأَنَّ الْكَوْنَ مُسَيَّرٌ وَفَقَّ مُرَادِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ، فَالرِّيَّاحُ تَجْرِي بِأَمْرِهِ، وَالْفُلُكُ تَمُحُرُ عُبَابَ الْبَحْرِ بِقُدْرَتِهِ، ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢).

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ ظَاهِرَةَ الْخُسُوفِ وَالْكَسُوفِ - وَإِنْ كَانَ لَهَا تَفْسِيرٌ عِلْمِيٌّ قَدْ كَشَفَهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْعَصْرِ - إِلَّا أَنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، تُذَكِّرَانِ الْإِنْسَانَ بِقُدْرَةِ اللَّهِ الْمُطْلَقَةِ، وَمَشِيئَتِهِ الْمُحَقَّقَةِ، كَمَا تُذَكِّرَانِهِ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ إِذَا الشَّمْسُ كَوَّرَتْ، وَالنُّجُومُ انْكَدَرَتْ، وَالْجِبَالُ سِيرَتْ، وَالْبِحَارُ سُجِرَتْ، ﴿يَوْمَ يُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ^ط وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (٣). فَاُنْظِمَاسُ نُورِ الشَّمْسِ، وَانْطِفَاءُ ضَوْءِ الْقَمَرِ فِي ظَاهِرَتِي الْخُسُوفِ وَالْكَسُوفِ؛ مَا هُوَ إِلَّا صُورَةٌ مُصَغَّرَةٌ لِنَدَاعِي هَذَا الْكَوْنَ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

يَقُولُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا

(١) سورة يس/ ٣٧-٤٠.

(٢) سورة آل عمران / ٦.

(٣) سورة إبراهيم / ٤٨.



مُعْرَضُونَ ﴿١﴾. فَإِذَا كَانَتْ ظَاهِرَةُ الْخُسُوفِ وَالْكَسُوفِ آيَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فِي الْأَفَاقِ فَعَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَتَأَمَّلَ فِيهِمَا وَيَتَدَبَّرَ، وَأَنْ يَنْظُرَ فِيهِمَا نَظَرَ اعْتِبَارٍ وَتَفَكُّرٍ، وَأَنْ لَا يَمُرَّ عَلَيْهِ هَذَا الْحَدِيثُ مُرُورَ الْكَرَامِ، فَالْمُؤْمِنُ يَرَى بُنُورَ اللَّهِ، فَهُوَ لَا يَرِبُ الْأَسْبَابَ بِالطَّبِيعَةِ وَحَدَهَا؛ بَلْ يَرِبُطُهَا بِمُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ جَلِّ جَلَالِهِ، فَالْخَلْقُ خَلَقَهُ وَالْأَمْرُ أَمْرُهُ، ﴿يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّورُ﴾ (٢)، أَلَا وَإِنَّ مِنَ الْجَهْلِ الذَّرِيعَ، وَالْخَطَأِ الْفَطِيحَ؛ أَنْ تُفَسَّرَ هَذِهِ الظَّوَاهِرُ تَفْسِيرًا مَادِّيًّا، مَقْطُوعًا عَنِ قُدْرَةِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ، وَكَأَنَّ الطَّبِيعَةَ هِيَ الْمَصْرِفُ لِهَذَا الْوُجُودِ! فَإِذَا كَانَتِ الطَّبِيعَةُ هِيَ السَّبَبَ الرَّئِيسَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الظَّوَاهِرِ، فَمَنْ هُوَ الْمَصْرِفُ لِهَذِهِ الطَّبِيعَةِ يَا تُرَى؟! إِنَّهُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَتَذَكَّرُوا قَوْلَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ: ﴿سَرِّبَهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٣).
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** **

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَىٰ إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَىٰ تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، تَعْظِيمًا لِشَانِهِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الدَّاعِي إِلَىٰ رِضْوَانِهِ، ﷺ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ وَخُلَّائِهِ.

أَمَّا بَعْدُ - فَيَا عِبَادَ اللَّهِ -، إِذَا وَقَعَتِ الْأَرْضُ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ كَانَتْ ظَاهِرَةُ الْخُسُوفِ، وَإِذَا وَقَعَتِ الْقَمَرُ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْأَرْضِ كَانَتْ ظَاهِرَةُ الْكَسُوفِ، وَقَدْ كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ابْنُهُ إِبْرَاهِيمُ، فَظَنَّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهَا كَسَفَتْ لِمَوْتِهِ، فَقَامَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ خَطِيبًا، وَكَانَ مِمَّا قَالَ: ((إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَخْسِفَانِ

(١) سورة يوسف/ ١٠٥.

(٢) سورة الزمر/ ٥.

(٣) سورة فصلت/ ٥٣.



لَمَوْتِ بَشَرٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللَّهَ وَكَبِّرُوهُ، وَتَضَرَّعُوا وَتَصَدَّقُوا)). وَمِنْ السَّنَةِ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - عِنْدَ نُزُولِ النَّوَزِلِ كَالْخُسُوفِ وَالْكَسُوفِ وَغَيْرِهَا أَنْ يُهْرَعَ النَّاسُ إِلَى الصَّلَاةِ، فَيُنَادَى فِي النَّاسِ: "إِنَّ الصَّلَاةَ جَامِعَةٌ"، فَإِذَا اجْتَمَعُوا قَامَ الْإِمَامُ، وَصَلَّى بِهِمْ رُكْعَتَيْنِ جَهْرِيَّتَيْنِ، فِي كُلِّ رُكْعَةٍ رُكُوعَانِ، يَقْرَأُ فِي كُلِّ رُكْعَةٍ الْفَاتِحَةَ وَسُورَةً يُطِيلُ فِيهَا الْقِرَاءَةَ، ثُمَّ يَقُومُ فِيهِمْ خَطِيبًا فَيُحَمِّدُ اللَّهَ تَعَالَى وَيُثْنِي عَلَيْهِ، ثُمَّ يُذَكِّرُهُمْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ، وَيَحْتَثُّهُمْ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَالْإِكْتِسَابِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ مَا يَنْبَغِي لَهُمْ فِعْلُهُ عِنْدَ نُزُولِ النَّوَزِلِ. هَذَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَهُ النَّاسُ مِنَ الْجَانِبِ الشَّرْعِيِّ، وَأَمَّا فِي الْجَانِبِ الصِّحِّيِّ فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يُحَدِّقَ النَّاسُ بِأَبْصَارِهِمُ الْمُجَرَّدَةَ تَلْقَاءَ الشَّمْسِ حَتَّى لَا تُؤْذِيَهُمُ الْإِشْعَاعَاتُ الْخَطِيرَةُ الْمُنْبِعَثَةُ مِنَ الشَّمْسِ فِي أَثْنَاءِ كُسُوفِهَا. وَلَرُبَّمَا أَغْرَى بَعْضُهُمْ ضَعْفُ الْأَشْعَةِ الْمَرْئِيَّةِ لِلشَّمْسِ وَمَا عَلِمُوا أَنَّ أَشْعَتَهَا فَوْقَ الْبِنْفَسَجِيَّةِ تَحْرِقُ مَرَكَزَ الْبَصَرِ، أَلَا فَلْيَحْذَرِ الْإِنْسَانُ وَلْيُحْمِي عَيْنَهُ مِنَ الضَّرْرِ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ

وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَرْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْخَيْرِ، وَانكسرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاکْتُبْ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.



اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَغِيثُ أَلَّا تَكِلَنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اخْفِظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِكُلِّ مَنْ آمَنَ بِكَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

